مَعَ مَلِكِ البِحَارْ



حَدِيقَةُ الطِّفْلِ

مَعَ مَلِكِ البِحَارْ

بِقَلَم

ابراهيم عزوز

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى (الفجالة) بالقاهرة

- ١ -

يُحكَى أنَّ رَجُلاً يُسَمَّى صَفْوانَ ، كانَ يَشْتَغِلُ بِصَيْدِ السَّمكِ .

وكان يَسْكُنُ مَعَ زَوْجَتِهِ ، وأوْلادِه السَّبْعَةِ فى كُوخٍ صَغِيرٍ ، بالْقُرْبِ منَ الْبَحْرِ الذى يَصِيدُ مِنْه.

وكانَ يخرُجُ من كُوخِه كلَّ يَوْمٍ قَبْلَ الْفَجْرِ ، وَيَحْمِلُ شَبَكَتَهُ وَسَلَّتَهُ ، وَيَسِيرُ إلى الشَّاطِئِ . وَهُناكَ يُمْسِكُ الشَّبَكَةَ بِطَرِيقَةٍ خاصَّةٍ يَتَعَلَّمُها الصَّيَّادُونَ ، وَيُلْقِيهَا فى الْمَاءِ ، وَيَنْتَظِرُ فَتْرَةً

قَصِيرَةً حَتَّى يَشْعُرَ أَنَّهَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَجْذِبُهَا بِرِفْقٍ وَعِنَايَةٍ ، وَيُخْرِجُهَا مِنَ الْمَاءِ ، فَيَجِدُ فِيهَا سَمَكًا قَلِيلاً أَوْ كَثِيرًا .

فَيَأْخُذُهُ ، وَيَضَعُهُ فِي السَّلَّةِ ، ثُمَّ يُعَاوِدُ طَرْحَ الشَّبَكَةِ فِي الْمَاءِ . وَهٰكَذَا حَتَّى تَمْتَلِئَ سَلَّتُهُ ، فَيَغْسِلُ الشَّبَكَةَ وَيَطْوِيهَا بِعِنَايَةٍ ، وَيَحْمِلُهَا عَلَى كَتِفِهِ تَحْتَ السَّلَّةِ ، وَيَعُودُ إِلَى الْكُوخِ .

فَإِذَا وَصَلَ اسْتَقْبَلَتْهُ زَوْجَتُهُ وَأَطْفَالُهُ بِفَرْحَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَقَامَتِ الزَّوْجَةُ بِفَرْزِ السَّمَكِ وَتَصْنِيفِهِ ، فَعَزَلَتِ الْأَصْنَافَ الصَّغِيرَةَ الرَّخِيصَةَ ، لِتَصْنَعَ مِنْهَا طَعَامًا . وَتَرَكَتِ الْأَصْنَافَ

الْكَبِيرَةَ الْغَالِيَةَ لِيَبِيعَهَا زَوْجُهَا فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ الْمُجَاوِرَةِ ، وَيَشْتَرِيَ بِثَمَنِهَا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَلَابِسَ وَخُبْزٍ وَحَاجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ .

وَبَيْنَمَا يَكُونُ الزَّوْجُ مَشْغُولاً بِبَيْعِ صَيْدِهِ ، تَكُونُ الزَّوْجَةُ قَاعِدَةً فِى الْكُوخِ تُمَلِّحَ بَعْضَ السَّمَكِ وَتَحْفَظُهُ فِى وِعَاءٍ كَبِيرٍ ، وَتُخْرِجُ أَحْشَاءَ بَعْضِهِ الْآخَرِ وَتُعَلِّقُهُ عَلَى حِبَالٍ لِيَجِفَّ فِى الشَّمْسِ ، ثُمَّ تَشْوِى مَا يَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ لِيَكُونَ غِذَاءَ يَوْمِهِمْ .

وَهَكَذَا كَانَتْ حَيَاةُ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْمُكَافِحَةِ تَسِيرُ .. عَمَلٌ دَائِمٌ ، وَتَعَبٌ كَثِيرٌ ، وَرِزْقٌ قَلِيلٌ !!

وفى إحدى اللَّيالِى الْبارِدَةِ ، اسْتَيْقَظَ صَفْوانُ قَبْلَ الْمِيعاد ، فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ تَتَوَجَّعُ مِنْ آلامِ الْوَضْعِ ؛ فَأَوْقَدَ نارًا لِتُدْفِئَها ، وَأَيْقَظَ بِنْتَهُ الْكَبِيرَةَ لِتُساعِدَها ، وَأَسْرَعَ إِلى الْمَدِينَةِ لِيُحْضِرَ الْقابِلَةَ .

وَما كادَتْ شَمْسُ ذلِكَ الْيَوْمِ تَطْلُعُ ، حَتَّى وَضَعَتِ الزَّوْجَةُ طِفْلَيْنِ تَوْءَمَيْنِ . وَخَرَجَتِ الْقابِلَةُ مِنْ حُجْرَةِ الزَّوْجَةِ تَقُولُ :

— مُبارَكٌ يا صَفْوانُ !! وَلَدٌ وَبِنْتٌ !! زادَكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَبارَكَ لَكَ فى ذُرِّيَّتِكَ الطَّيِّبَةِ !!

سَمِعَتِ الزَّوْجَةُ كَلَامَ الْقَابِلَةِ ، وَلَمْ تَسْمَعْ إِجَابَةَ صَفْوَانَ ؛ فَظَنَّتْ أَنَّ زَوْجَهَا غَيْرُ مَسْرُورٍ، وَعَذَرَتْهُ كَثِيرًا لِأَنَّهَا كَانَتْ تُلَاحِظُ التَّعَبَ الَّذِى يُلَاقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ لِإِطْعَامِ سَبْعَةِ أَطْفَالٍ ، فَمَاذَا يَصْنَعُ لِيُطْعِمَ تِسْعَةً ؟!

دَخَلَ صَفْوَانُ عَلَى زَوْجَتِهِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَيَقُولُ لَهَا:

ـ مُبَارَكٌ .. مُبَارَكٌ يَا صَبْحَةُ !! أَلْفُ سَلَامَةٍ لَكِ وَلِطِفْلَيْكِ !!

وَانْحَنَى عَلَيْهَا وَقَبَّلَهَا بِحَنَانٍ فِى جَبِينِهَا ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى الطِّفْلَيْنِ وَكَشَفَ عَنْهُمَا الْغِطَاءَ ، وَقَالَ :

ـ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَعْطَى !! اَللَّهُمَّ ارْزُقْهُمَا

رِزْقًا حَسَنًا ، وَاحْفَظْهُمَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ !!

فَرِحَتِ الزَّوْجَةُ بِمَا سَمِعَتْ ، وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهَا كَثِيرًا

فَقَالَتْ لَهُ :

ـ كُنْتُ أَحْسِبُكَ غَيْرَ مَسْرُورٍ يَا صَفْوَانُ !!

وَتَنَهَّدَتْ ثُمَّ قَالَتْ :

ـ كُلَّمَا رَأَيْتُكَ آخِرَ النَّهَارِ مُتْعَبًا مَكْدُودًا مِنَ الْعَمَلِ ،

امْتَلَأَتْ نَفْسِي أَلَمًا وَحَسْرَةً ، وَقُلْتُ : لَوْكَانَ أَوْلَادُنَا أَقَلَّ

مِنْ هَذَا الْعَدَدِ ، مَا تَعِبَ صَفْوَانُ كُلَّ هَذَا التَّعَبِ !!

فَقَالَ صَفْوَانُ :

ـ أَنْتِ مُخْطِئَةٌ يَا صَبْحَةُ فِيمَا تَقُولِينَ !! وَلَقَدْ

جَرَّبْتُ الرَّاحَةَ ، وَجَرَّبْتُ الْعَمَلَ ، فَوَجَدْتُ فِى الْعَمَلِ لَذَّةً كَبِيرَةً ، تُنْسِى كُلَّ تَعَبٍ . وَبِخَاصَّةٍ الْعَمَلُ فِى سَبِيلِ الْعِيَالِ !!

إِنِّى كُنْتُ قَبْلَ الزَّوَاجِ لَا أَعْمَلُ إِلَّا قَلِيلاً ، وَلٰكِنِّى مَعَ ذَلِكَ لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ الَّتِى أَشْعُرُ بِهَا الْآنَ !!

وَقَدْ سَمِعْتُ الشَّيْخَ فِى الْمَسْجِدِ ذَاتَ يَوْمٍ يَقُولُ لِلنَّاسِ.

ـ إِنَّ السَّعْىَ فِى طَلَبِ الرِّزْقِ عِبَادَةٌ تُرْضِى اللّٰهَ ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا أَكْبَرَ ثَوَابٍ وَأَجْرٍ !!

وَسَمِعْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى يَقُولُ :

ـ إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا صَوْمٌ وَلَا صَلَاةٌ ، وَلٰكِنْ يُكَفِّرُهَا السَّعْىُ عَلَى الْعِيَالِ !!

فَضَحِكَتْ صَبْحَةُ وَقَالَتْ :

ـ وَقَدْ نَسِيتَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّكَ سَمِعْتَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ يَقُولُ :

اللُّقْمَةُ فِي فَمِ الزَّوْجَةِ صَدَقَةٌ !!

فَضَحِكَ وَقَالَ وَهُوَ يُدَاعِبُ خَدَّهَا بِرِفْقٍ وَحَنَانٍ :

ـ وَمُنْذُ سَمِعْتُ مِنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ ، صِرْتُ أَعْمَلُ بِجِدٍّ

وَنَشَاطٍ ، لِأَضَعَ فِي فَمِكِ الْجَمِيلِ ، هَذِهِ اللُّقْمَةَ الْحُلْوَةَ

يَا صَبْحَةُ !!

فَقَالَتْ صَبْحَةُ وَهِيَ تَأْخُذُ يَدَهُ وَتَضَعُهَا عَلَى فَمِهَا

بِإِخْلَاصٍ :

ـ بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِيكَ يَا صَفْوَانُ ، وَأَعَانَكَ عَلَى تَرْبِيَةِ

الْعِيَالِ ، وَزَادَ فِي رِزْقِكَ وَرِزْقِهِمْ !!



- ٢ -

تَرَكَ صَفْوَانُ زَوْجَتَهُ مَعَ طِفْلَيْهَا الْجَدِيدَيْنِ ، وَحَمَلَ شَبَكَتَهُ وَسَارَ إِلَى الْبَحْرِ . وَهُنَاكَ طَرَحَ الشَّبَكَةَ كَعَادَتِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا !! اسْتَرَاحَ لَحْظَةً ، ثُمَّ طَرَحَهَا مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً . وَلَكِنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ.. حَتَّى صِغَارُ السَّمَكِ الَّتِي كَانَتْ تَعْلَقُ بِالشَّبَكَةِ فِيمَا مَضَى ، وَكَانَ يُخَلِّصُهَا وَيُعِيدُهَا إِلَى الْمَاءِ لَمْ تَرَهَا عَيْنُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ !!

دَهِشَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَرَأَى الشَّمْسَ



وهناك طرح شبكته ثم أخرجها فلم يجد فيها شيئا . . ص ١٢

تَسْطَعُ بِقُوَّةٍ ، وَتَمْلأُ الدُّنْيَا ضَوْءًا وَحَرَارَةً ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ،وَكَأَنَّهُ تَذَكَّرَ شَيْئًا كَانَ يَنْسَاهُ :

ـ لاَ عَجَبَ !! فَالسَّمَكُ يَتَجَمَّعُ هُنَا فِي اللَّيْلِ وَقُرْبَ الْفَجْرِ ، أَمَّا الآنَ فَإِنَّهُ يَسْبَحُ فِي الْبِحَارِ الْبَعِيدَةِ . . يَسْبَحُ لِيَبْحَثَ عَنْ طَعَامِهِ !!

وَشَعَرَ بِرَاحَةٍ كَبِيرَةٍ وَهُوَ يَقُولُ :

ـ حَتَّى السَّمَكُ يَسْعَى وَيَكُدُّ لِيَحْصُلَ عَلَى الْقُوتِ !!

وَطَوَى شَبَكَتَهُ وَحَمَلَهَا وَرَجَعَ إِلَى كُوخِهِ . . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، اشْتَرَكَ مَعَ بِنْتِهِ الْكَبِيرَةِ فِي إِعْدَادِ طَعَامٍ لِلأُسْرَةِ مِنَ السَّمَكِ الْمَخْزُونِ عِنْدَهُمْ ، وَجَلَسُوا

يَأْكُلونَ ، وَهوَ يَقُولُ لَهُمْ :

ـ مَاذَا كُنَّا نَصْنَعُ الْيَوْمَ ، لَوْلَمْ يَكُنْ عِنْدَنا هـذَا السَّمكُ الْمُجَفَّفُ ؟!

لَقَدْ صَدَقَ الْحُكَمَاءُ الذينَ قالُوا : مَا تَدَّخِـرهُ فِي الرَّخَاءِ يَنْفَعُكَ فِي الشِّدَةِ !!

مَكَثَ صَفوانُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا بَعْدَ ذلِكَ ، يَذْهَبُ إلى البحرِ كُلَّ يومٍ وَيُلْقِى فيه شَبَكَتَهُ وَيَنْتَظِرُ الْفَـرَجَ ، وَلَكِنَّ الشَبَكَةَ تخرجُ إليه خَالِيَةً نَظِيفَةً .. حتَّى أعْشَابُ البحرِ لاتَعْلَقُ بِهَا !!

غَيَّرَ الْمواضِعَ التى يُلْقِي فيها الشبَكَةَ ، وغيَّرَ الأَوْقاتَ

التى يخرجُ فيها لِلصَّيْدِ ، ولكنَّ الحالَةَ بقِيَتْ كماهِىَ ..

يخرجُ أوَّل النهارِ بأَمَلٍ وَرجاءٍ ، وَيَعُودُ فى آخِرِه بيأْسٍ

وَخَيْبَةٍ !!

ولِكنَّ طَمعَهُ فى رَحْمَةِ اللهِ وَفَضْلِه لَمْ يَنْقَطِعْ ، وكان

دائِمًا يُرَدِّدُ فى نفسِهِ قَوْلَهُ تعَالى :

- " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا "

ثم يقولُ فى كُلِّ مَرَّةٍ :

- اَللَّهُمّ ارْزُقْنَا كَمَا تَرْزُقُ كُلَّ دَابَّةٍ ، وَأَطْعِمْ أَطْفَالِي

كَمَا تُطْعِمُ كُلَّ حَشَرَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَكُلَّ دُودَةٍ ضَعِيفَةٍ

وكُلَّ نَبْتَةٍ فى الصحراءِ الْمُقفِرَةِ !!

وأخيرًا أوْشَكَ ما ادَّخروه مِنَ السمكِ أنْ يَنْتَهِيَ

وَاشْتَهى أطْفالُهُ الْخُبْزَ ، ورأى عَلامَاتِ الضَّعْفِ

والْهُزالِ تَظْهرُ على وَجْهِ زَوْجَتِهِ وَعِيالِهِ ، فَاشْتَدَّ أَلَمُه

وَزادَتْ حَسْرَتُه وَحيْرَتُهُ . وخرجَ إلى الْمَدِينَةِ ، والشَّبكةُ

على كَتِفِهِ ، وهولا يَدْرِي ماذا يصنَع !!

وما كاد يُبْصِرُ الْمَخبزَ ، حتى وَقَفَ أمامَ الْخُبْزِ

ينظُرُ إليْهِ بِلَهْفَةٍ وشَوْقٍ ، ولا تَكادُ رِجْلُه تُطاوِعُه

على الحَرَكَةِ .

وكان الخبَّازُ رَجُلًا ذكيًّا وطيِّبًا ، فَلَمَّا رأى صفْوانَ

فى مَوْقِفِه ، عَرَفَ مايَدُورُ بِنَفْسِه ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وقال

لَهُ :

ـ إلى كَمْ رَغِيفٍ تَحْتَاجُ يَاصَفْوانُ ؟؟

فُوجِئَ صَفْوانُ بِهذَا السُّؤالِ فَأَجَابَ بِدُونِ

تَفْكِيرٍ :

ـ نحن أَحَدَ عَشَرَ .. يَكْفِينَا عِشْرُو ...

وَقَبْلَ أَنْ يُتِمَّ كَلِمَةَ عِشْرِينَ عَادَ إِلَيه صَوابُه ،

وَتَذَكَّرَ أَنَّه لَايَمْلِكُ ثَمَنَ رَغِيفٍ واحدٍ ، فَكيفَ

يَطْلُبُ عِشْرِينَ ؛ فَارْتَبَكَ وَظَهَرَتْ على وَجْهِهِ

عَلَامَاتُ الْخَجلِ . وَأَوْشَكَ أَنْ يُدِيرَ ظَهْرَهُ لِلْمَخْبَزِ

وَيَنْصَرِف ، ولكنَّ الخبّازَ أراحَهُ مِنْ أفكارِه وقال له

وهو يَعُدُّ الْأَرْغِفَةَ وَيَضَعُها فى سَلَّةٍ :

ـ إنَّ أحدَ عشرَ إنْساناً لا يَكْفِيهِمْ عِشْرونَ رَغِيفاً..

إنَّهُمْ يَحْتاجُونَ إلى ثَلاثِينَ على الْأَقَلِّ !! خُذ هذه

السَّلَّةَ بِما فِيها !!

اِرْتَبَكَ صفوانُ مَرَّةً أُخْرى ، ورجَعَ إلى الْوَراءِ

خطْوَتَيْنِ وهو يَرْفَعُ يَدَيْهِ إلى أَعْلَى ، حَتَّى لا يَلْمِسَ السَّلَّةَ

وقال :

ـ كَلّا ياسيِّدى الخبازَ .. لَسْنا فِى حاجةٍ إلى خُبْزٍ ..

إنَّ الخبزَ كثيرٌ فى البيتِ !! وقد كُنْتُ مَشْغُولَ الْبالِ

بِأَشْياءَ أُخْرَى عِنْدَمَا أَجَبْتُ سُؤَالكَ !!

نظر إليه الخَبَّازُ نَظْرَةَ شَفَقَةٍ وَرَحْمَةٍ وقال له:

ـ لَا تُحَاوِلْ أَنْ تَرْفُضَ يا أَخِى !! إِنَّ التُّجَّارَ يَبِيعُونَ بِضَاعَتَهُمْ أَحْيانًا بِالأَجَلِ ، فَخُذِ الْخُبْزَ وَسَدِّدْ ثَمَنَهُ عِنْدَمَا تَصِيدُ .. وَلَا تَنْسَ أَنِّى أَحْتَاجُ كَثِيرًا إلى السمكِ وقد عَرَفْتُ أَنَّكَ تَصِيدُ أنواعًا جَيِّدَةً منه ، فاذا صِدْتَ غَدًا سَمَكَةً كَبِيرَةً ، فَأَحْضِرْهَا إِلَىَّ !!

هدأَتْ نَفْسُ صَفْوَانَ ، وَشَعَرَ بأَنَّه أَمَامَ رَجلٍ كَرِيمٍ، طَيِّبِ النفسِ ، فَمَدَّ يَدَهُ لِلسَّلَّةِ وَأَخذها وهو يقولُ :

ـ شكرًا لكَ يا سَيِّدِى !! هذا كَرَمٌ نَادِرٌ فى هذا الزَّمانِ !!

وقصَّ عليه قِصَّتَه مع البحرِ مُنْذُ خَمْسَةَ عشَرَ يَوْمًا !!

زادتْ شَفَقَةُ الخبَّازِ، وأخرجَ مِنْ جَيْبِهِ قَدْرًا مِنَ النُّقُودِ، وقال لِصَفْوانَ :

ـ خُذْها مَعَ الْخُبْزِ، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الأَطْفالُ أَنْ يَأْكُلُوا خُبْزًا بِدُونِ إِدامٍ !!

اِنْحنَى صَفْوَانُ أمامَ الْخَبَّازِ، وأخذ النُّقُودَ والْخُبْزَ، وانْصرفَ وهو يَشْكُرُ الْخبَّازَ، وَيدْعُو له بالخَيْرِ وَالبركَةِ !!

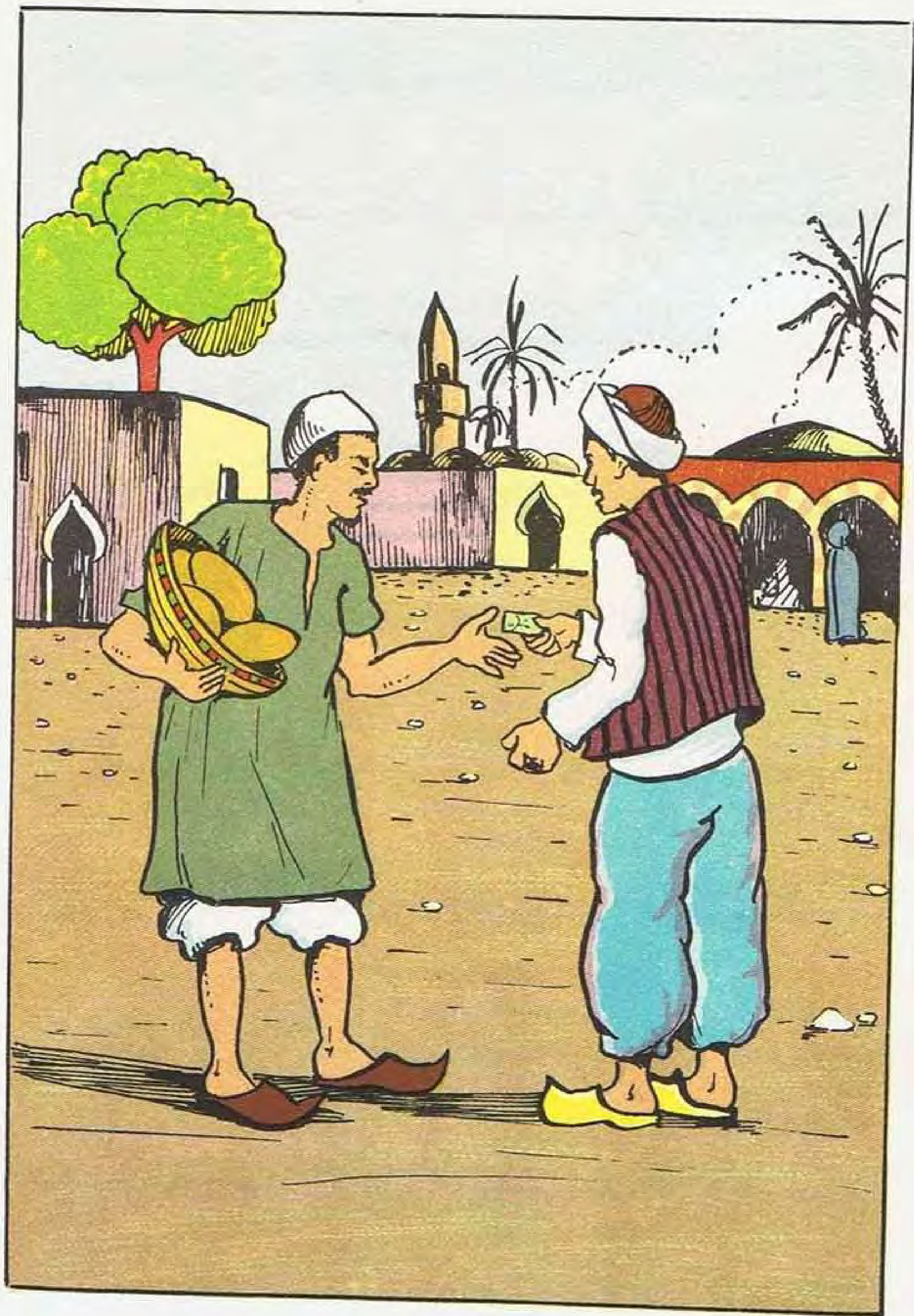
وهكَذا رَجَعَ صَفوانُ إلى أَوْلادِهِ فى ذلك اليومِ .

ومَعَهُ خُبْزٌ وَخُضَرٌ، وَبُقُولٌ وَفَاكِهَةٌ، وجلس بَيْنَهُمْ
يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَيُحدِّثُهُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ ونِعْمَتِه، ويَذْكُرُ
لهم قِصَّةَ هذا الخَبَّازِ الكريمِ الطيِّبِ.

وفي اليَوْمِ السَّادِسَ عَشَرَ ذهب إلى البَحْرِ كعادَتِهِ
وأَلْقَى شبكَتَهُ فيه وهو يقولُ في نَفْسِه:

ـ ذهَبَتْ الأَيَّامُ الْمَنْحُوسَةُ!! إنَّ عطفَ الخبَّازِ
عَلَيْنَا أمسِ كان بشيرَ خَيْرٍ ولا شَكَّ، وَسَأَحْمِلُ إليْه كُلَّ
ما أَصِيدُ قبلَ أنْ أذهبَ إلى الْبَيْتِ، لِيَأْخُذَ منه مَا
يُعْجِبُه؛ فإنَّهُ يَسْتَحِقُّ مِنِّى كُلَّ حُبٍّ وَتَقْدِيرٍ وشُكْرٍ!!

وجذبَ الشبكَةَ فلم يَجِدْ فيها شَيْئًا؛ فَأَسِفَ كثيرًا



خذها مع الخبز . . . ص ٢١

ورجع الْيَأْسُ إلى قَلْبِهِ مَرَّةً أُخْرَى . وظلَّ يَرْمِي

الشبكةَ وَيُخرِجُها فَارِغَةً خَالِيَةً ، إلى أَن انْتَصَفَ

النَّهارُ ، فعَرَفَ أنَّهُ لَنْ يَصِيدَ شَيْئاً فى يَوْمِهِ .

ووقف يُفكِّرُ فى عِيالِهِ ، وَيُفكِّرُ فى دَيْنِ الخبَّازِ

حتى أَعْياهُ التفكيرُ وأتْعَبَ ذِهْنَه الْكَلِيلَ . .

وأخِيرًا عزم على أَمْرٍ . . .

ذهبَ إلى الخبَّازِ وقصَّ عليه مَا لَقِيَهُ فى

يَوْمِهِ ، ثم قال لَهُ :

ـ وقدجِئْتُ الآنَ لِأُعْطِيَكَ الشَّبكةَ رَهْنًا

لِدَيْكَ ياسَيِّدِى ، حتى يُذهِبَ اللهُ نَحْسِى ،

وَيفْتَحَ علىَّ بابَ الرِّزقِ مِن جديدٍ ، فأَقْضِىَ دَيْنَكَ ، وآخُذَ شبكَتى !!

فقال الخَبَّازُ وهو يُظْهِرُ غايَةَ العَطْفِ عليه :

ـ كَيْفَ آخُذُ شَبَكَتَكَ وَهِىَ الْعُدَّةُ التى تَصِيدُ بِهَا ؟!

لاَ .. لاَ ياصَفْوانُ !! هذا لايَكونُ !!

وَأَدْرَكَ بذَكَائِهِ الْخَواطِرَ التى تَشْغَلُ بَالَ صَفْوانَ فى هذه اللَّحْظَةِ ، وعَرَفَ أَنَّ صَفْوانَ لَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ خُبْزاً ولا نُقُوداً فى ذلك الْيَوْمِ ، فدَعَاهُ لِلْجُلُوسِ مَعَهُ ، وأخذ يُلاَطِفُهُ ، وَيقُصُّ عليه قِصَصَ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ ، الذين فرَّجَ اللهُ كُرُبَهُمْ بعدَ الشِّدَّةِ ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ بَعْدَ

الضِّيقِ .

وَاسْتَطاعَ بِمَهارَتِهِ فى أَثْناءِ الْحَدِيثِ ، أَنْ يَعْرِفَ مِنْهُ عُنْوانَ بَيْتِهِ . ثُمَّ تَظاهَرَ بأَنَّهُ يُرِيدُ شَيْئًا داخِلَ الْمَخْبزِ ، وَتَرَكَهُ لَحْظَةً ثُمَّ عادَ إِلَيْه .

اسْتَراحَ صَفْوانُ لِحَديثِ الْخَبَّازِ ، وأَحَسَّ أَنَّهُ لَنْ يَغْضَبَ إِذا تأَخَّرَ سَدادُ الدَّيْنِ بِضْعَةَ أَيَّامٍ أُخْرَى فَاسْتَأْذَنَ وانْصَرَفَ .

وَبَيْنَما كانَ فى طَرِيقِهِ إلى الْبَيْتِ تَذَكَّرَ أَطْفالَهُ وَزَوْجَتَهُ فقال :

ـ لقد صَبَرَ الْخَبَّازُ .. صَبَرَ لأَنَّ دَيْنَهُ صَغِيرٌ ، لا

يُؤَثِّرُ فى عَمَلِهِ ، ولا يَعُوقُهُ عَنْ الْعَجْنِ وَالْخَبْزِ كُلَّ يَوْمٍ ..

ولكِنْ كَيْفَ يَصْبِرُ أَطْفَالِى اليومَ عَنِ الطَّعَامِ ؟

وعِنْدَئِذٍ وَقَفَ فى الطَّرِيقِ . وأدارَ وَجْهَهُ إلى الْمَخْبَزِ وقال :

ـ ما أَظُنُّ هذا الرجلَ الكريمَ يَبْخَلُ عَلَىَّ ، إذا طَلَبْتُ منه سُلْفَةً أخْرَى !! مَاذا يَمْنَعُ أَنْ أَعُودَ إليهِ وأَطْلُبَ منه ؟؟

وخَطَا خَطْوَتَيْنِ إلى الْأَمَامِ فى طَرِيقِ الْمَخْبَزِ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ السَّيْرِ وهو يقولُ :

ـ لا يَا صَفْوانُ .. تَجُوعُ أَنْتَ ، وَيَجُوعُ عِيالُكَ ، وَلَا

تَفْعَلْ هذا !! لَوْكَانَتْ نفْسُ الرجلِ تَسْمَحُ بِسُلْفَةٍ ثَانِيَةٍ، لَقَدَّمَهَا مِنْ غيرِ طَلَبٍ !!

وأَدَارَ ظَهْرَهُ إلى الْمَخْبَزِ، وسارَ فى طَرِيقِهِ إلى البيْتِ ، وهو لا يَدْرِى كَيْفَ يَلْقَى أَطْفَالَهُ الْجِيَاعَ !!

- ٣ -

اسْتقبلَ الأطفالُ أبَاهُمْ بِأعْظمِ سُرور ، وقال له أوْسَطُهمْ :

ـ لِمَاذَا تأخَّرْتَ يا أبِ ؟؟ لقدْ جهَّزتْ أُمُّنَا الطَّعامَ وطبختِ اللَّحْمَ الذى أرْسلْتَهُ إلينَا، وأخذْنا ننتظِرُ عوْدَتك حتى اشتدَّ جُوعُنَا !!

وجذَبَ يدهُ إلى الدَّاخِلِ وهو يقولُ له :

ـ هَيَّا يا أبِ !! هيَّا لِنَأْكُلَ معَنَا !!

وقف صَفْوانُ لَحظَةً قصيرةً جدًا ، دَارَتْ بنَفْسِهِ

فيها خَواطِرُ كَثِيرةٌ ، وَدَمَعَتْ عَيْنُه دَمْعةَ شُكْرٍ، حينَما أَدْرَكَ أنّ الخبّازَ دَبّرَ كُلَّ ذلكَ لِكَيْلا يُؤْذِيَ شُعُورَه ، فسارَ مَعَ أَوْلادِه إلى الطَّعامِ ، وهو يُتَمْتِمُ بِصَوْتٍ خافِتٍ جِدًّا :

- إنَّهُ رَجُلٌ طاهِرٌ .. لا !! بَلْ مَلاكٌ من سُكّانِ السَّماءِ ، وليس إنْسانًا من سكّانِ الأَرْضِ !!



استمرَّ صَفوانُ أَرْبعَةَ أيّامٍ بَعْدَ ذلك اليومِ ، يذهَبُ إلى الْبَحْرِ فلا يَصِيدُ شيئًا ، ويعودُ إلى البيْتِ فيجِدُ الخبّازَ قد مَلأَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا ، وخُضَرًا وفاكِهَةً.

وَزَوْجَتُه وَأَطْفالُه يأكلونَ ولا يَدْرُونَ سَبَبَ ذلكَ كُلِّهِ !!

وفى اليومِ الخامسِ ، وَقَفَ صفوانُ أمامَ الْبَحْرِ ، واتَّجَهَ إلى اللهِ بِقَلْبِهِ وقال :

ـ يارَبِّ إنَّكَ أَكْرَمْتَنِى إِذْ عَطَّفْتَ عَلَىَّ وعلى أَطْفالِى قَلْبَ هذا الخَبَّازِ، فأكْرِمْنِى اليومَ بِرِزْقٍ يَقْضِى دَيْنَهُ الكَبِيرَ ، وَيُمَكِّنُنِى مِنْ رَدِّ جَمِيلِه، الذى لا يُشْبِهُهُ جَميلٌ !!

وطَرَحَ الشَّبَكَةَ فى الماءِ وانْتَظَرَ قليلاً كَعادَتِه ، ثُمَ جَذَبَها .. جذَبَها بِرِفْقٍ فلم تتَحَرَّكْ ، فَرَكَزَ قَدَمَيْهِ وَراءَ حجرٍ كبيرٍ ، وأخذ يجذِبُها بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، وراحَتْ هِىَ تَنْجَذِبُ قليلاً قليلاً !!

إِنَّ فَرْحَتَهُ فى هذه اللَّحظةِ، فاقَتْ كُلَّ فرحةٍ من قبْلُ، حتَّى لَقَدْ نَسِىَ كُلَّ أَيَّامِ النَّحْسِ والْبُؤْسِ الْمَاضِيَةِ!!

ولكنَّه ما كاد يُخرِجُهَا بَعْدَ التَّعَبِ والْعَرقِ، وينظرُ ما فيها، حتَّى وقع على ظَهْرِهِ من الْغَمِّ والْفَزعِ !!

وَبَعْدَ ما أفاق مِنْ ذُهُولِهِ صاح بِيأْسٍ :

ـ زِيرٌ .. زِيرٌ مِنَ الْفَخَّارِ !! يَالَلنَّحْسِ وَالْبُؤْسِ !!

وجمَع قُوَّتَهُ وَخَلَّصَهُ مِنَ الشَّبَكَةِ، وَدَفعهُ بِرِجْلِهِ دَفْعةً قَوِيَّةً، فتَدَحْرَجَ عَلَى رِمالِ الشَّطِّ !!

كانتْ أَشِعَّةُ الشمسِ فى ذلك الوقْتِ، قد انْتشرتْ فى جَوانِبِ الأُفُقِ الشَّرْقِىِّ، فخفَّفَتْ ظلامَ اللَّيلِ ،

وأصْبحتِ العيْنُ قادِرةً على رُؤْيَةِ الأَشْياءِ بِوُضُوحٍ.

فوقف صَفْوَانُ يَائِسًا حائِرًا ، ينظرُ تارةً إلى الشبكةِ

والْبَحْرِ ، وتارةً إلى الزيرِ . وتارةً أُخْرَى يَشْرُدُ ذِهْنُه

فينظرُ ولايَرَى شيئًا مِمَّا يُحِيطُ به !!

وَبيْنَمَا هو شارِدُ الذِّهْنِ ، سمِعَ حركةً مُفَاجِئةً فى

الماءِ ، فعاد إليهِ انْتباهُهُ ، ونظرَ إلى الجهةِ التى

صدَرَ منها الصَّوْتُ ، ولكنَّهُ صَاحَ صَيْحةً هَائِلَةً ،

وارْتدَّ إلى الْوَرَاءِ فى أَشَدِّ رُعْبٍ وفَزَعٍ ، كأَنَّ ثُعْبانًا

ضَخْمًا يَهْجُم عليه !!

وترَكَ الشبَكَةَ والزِّيرَ ، وهَمَّ بأنْ يَجْرِىَ بأَقْصى

سُرْعَتِهِ ، لِيَنْجُوَ بنفسِهِ . ولكنَّه مع رَغْبَتِهِ الشَّدِيدَةِ

فى النَّجاةِ والْفِرَارِ ، كانَ ينقُلُ قَدَمَيْه كما يفعَلُ الْمُقَيَّدُ

الذى تَعُوقُهُ أَثْقَلُ الْقُيودِ !!

بَعُدَ عنِ الشَّطِّ بِضْعَ خَطَواتٍ ، وإذا به يَسْمَعُ

صَوْتًا عَذْبًا كأنَّهُ لَحْنٌ مِنْ أَلْحَانِ الْمُوسِيقَى يُنَادِيه

قائلاً :

ـ مالَكَ تَخَافُ ياعَبْدَ اللهِ ؟! ولماذا تُفَكِّرُ فى الْهُرُوبِ

مِنِّى ، وماجِئْتُ الآنَ إلاَّ لِأُسْعِدَكَ وَأُونِسَكَ ؟!

اقْتَرِبْ مِنِّى ياعبدَ اللهِ ولاتَخَفْ !! تَعَالَ .. تعالَ

ياعَبْدَ اللهِ !!



اقترب مني ياعبد الله ولا تخف . . . ص ٣٤

كانَ صَوْتُ هذا الْمَخلوقِ يَمْلأُ نَفْسَ سامِعِهِ اطْمِئْنانًا فَلَمَّا سَمِعَهُ صَفْوانُ ذَهَبَ خَوْفُهُ ، وَوَقَفَ فِي مَوْضِعِهِ وأخذ يَنْظُرُ إليْهِ من جَدِيدٍ . ثُمَّ أحَسَّ أنَّ شَيْئًا يجذِبُهُ لِلأَمَامِ ، فسار إلى الشَّطِّ بِبُطْءٍ ، وهو يتأمَّلُ الْمخلُوقَ الْعجِيبَ الذى يُخاطِبُهُ !!

لقدكان نِصْفُه الأَعْلَى فى صُورَةِ إنْسانٍ . أَمَّا نِصْفُه الأَسْفَلُ فهو سَمَكَةٌ ، ذاتُ ذَيْلٍ وزَعانِفَ . وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ النَّاسِ مَنْ يُشْبِهُه فى جَمالِ الْوَجْهِ والشَّعْرِ وَالْعَيْنَيْنِ .. كانَ وَجْهُه مُسْتَدِيرًا وَمُشْرِقًا كَالْبَدْرِ ، وكانَ شَعْرُهُ ناعِمًا كالْحريرِ ، وطويلًا كذيْلِ الْحِصانِ الأَصِيلِ ،

وأصْفَرَ كالذَّهَبِ الْمَجْلُوِّ . وكان لَوْنُ عَيْنَيْهِ أَزْرقَ

كَمَاءِ الْبَحْرِ . ولم يَكُنْ في وَجْهِه شَعْرٌ غيرُ الشَّارِبِ

الذَّهَبِيِّ تَحْتَ أَنْفِهِ !!

وقف صَفْوانُ على حافَةِ الماءِ ، وقال يُخاطِبُ

نَفْسَهُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ :

ـ مَاهذا ياصَفْوانُ ؟؟ هَل قُدِّرَ لك أَنْ تَرَى عَرُوسَ

الْبَحْرِ ، التي يتحدَّثُ عنها المَلاَّحُونَ في الْبِحَارِ

الْواسِعَةِ ؟!

وهُنَا ابْتَسَمَ الْمَخْلوقُ الْعَجِيبُ ابْتسامَةً مُشْرِقَةً

جَميلةً ، وقال له :

ـ الآنَ عَرَفْتُ اسْمَكَ .. إنَّهُ اسْمٌ جَمِيلٌ يا صَفْوَانُ !!

ولكِنِّي لَسْتُ عَرُوسَ الْبَحْرِ كَمَا تَظُنُّ !!

فقال صَفْوانُ :

ـ وماذا تكونُ إذا لَمْ تَكُنْ عَرُوسَ الْبَحْرِ ؟!

ـ أَنَا مَلِكُ الْبِحَارِ .. وقد أَخْبَرَنِي أَعْوانِي بِمَا قَاسَيْتَهُ فى

الْمُدَّةِ الْمَاضِيَةِ ، بسَبَبِ هِجْرَةِ السَّمَكِ مِنْ هُنَا ،

فصَعُبَ عَلَيَّ حَالُكَ ، وجِئْتُ لأُقَدِّمَ لك شَيْئًا من خَيْرَاتِ

الْبحارِ .. شيئًا غَيْرَ السَّمكِ !!

تذكَّرَ صَفْوانُ زَوْجَتَهُ وأَطْفَالَهُ فقال بِلَهْفَةٍ :

ـ شكرًا يا جلالَةَ الْمَلِكِ !! شُكْرًا .. شُكْرًا !! ماذا

تُقَدِّمُ لِي وَلِعَيالي ؟!

وقبلَ أن يُجِيبَ الملكُ عن سُؤالِه ، قال له :

ـ كَمْ أَطْفالُكَ يا صَفوانُ ؟

فأجاب بِمَسْكَنَةٍ وَاسْتِرْحامٍ :

ـ كانوا سبعةً ، وَمُنْذُ عِشْرِينَ يَوْمًا زادُوا تَوْءَمَيْنِ فَأَصْبَحُوا تِسْعةً .. إنَّنِي أَعُولُ تِسْعةَ أَطْفالٍ وَزَوْجَةً يا جلالَةَ الْمَلِكِ !!

فنظر إليه الملكُ بِدَهْشَةٍ وقال :

ـ هذا عددٌ كثيرٌ !! وَلَوْ أَنَّ كُلَّ زَوْجَيْنِ فِي الأَرْضِ وَلَدَا تِسْعَةَ أطفالٍ كما وَلَدْتَ أنتَ وَزَوْجَتُكَ ، لَضاقَتِ الأَرْضُ بِالنَّاسِ ، وَلأَكَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كما يَفْعَلُ السَّمَكُ

عِنْدَنَا !!

فقال صَفْوانُ :

ـ وماذا تَصْنَعُونَ أنتُمْ يَاجَلالَةَ المَلِكِ ؟؟

فقال الملكُ :

ـ مُنْذُ آلافٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا مِنَ السِّنِين ، تَنَبَّهَ واحِدٌ مِنْ مُلُوكِ الْبَحْرِ ، إلى خَطَرِ النَّسْلِ الكثيرِ فى جِنْسِنَا ، وَعَرَفَ بعقْلِهِ الكبيرِ أَنَّنَا إذا اسْتَمْرَرْنَا فى التَّنَاسُلِ والتَّوَالُدِ بِكَثْرَةٍ وسُرْعَةٍ ، فلابُدَّ أن يُصِيبَنا ما يُصِيبُ أَجْناسَ السَّمَكِ الْمُخْتَلِفَةِ . ولهذا أصْدرَ قانونًا يُحَرِّمُ على كُلِّ زَوْجَيْنِ أن يَلِدَا أكْثَرَ مِنْ ثلاثَةِ أطْفالٍ .



ذهب . . . فضة . . . نحاس . . . ص ٤٦

وأمَرَ الأطبَّاءَ عِنْدَنَا أن يَخْتَرِعُوا أدْوِيَةً يَتَعاطَاها الرِّجالُ والنِّساءُ ، فَتُحْدِثُ فِيهمُ الْعُقْمَ بَعْدَ الخَلَفِ الْمَسْمُوحِ به فى الْقَانُونِ . وقد عرَفْتُ أَنَّ الذين كانوا يَعِيشُونَ مَعَهُ فى ذلكَ الزَّمَانِ الْبَعِيدِ لَمْ يُعْجِبْهُمُ الْقَانُونَ عِنْدَ صُدُورِهِ ، فعَارَضُوه بشِدَّةٍ ، ولكِنَّهُمْ عَرَفُوا مَزَايَاهُ فيمَا بَعْدُ ، وَرَأَوْا أنَّهُ قانونٌ صالِحٌ وَمُفِيدٌ !!

وأراد الملكُ أن يَسْتَمِرَّ فى الحديثِ عن فَوائِدِ تَحْدِيدِ النَّسْلِ وقِلَّةِ الْعِيَالِ ، ولكِنَّ صَفوانَ نظر إلى السَّماءِ ، فرأى الشمسَ ارْتَفَعَتْ ، وتذكَّرَ مَا يُقَاسِيهِ أطفالُه مِنَ الْجُوعِ ، فنظر إلى الملِكِ باسْتِعْطَافٍ وقال

ـ مَوْلاَى .. لقد وَعَدْتَنِي أنَّكَ ...

ابْتَسَمَ المَلِكُ فى وَجْهِهِ ، وقال :

ـ نَسِيتُ وأَطَلْتُ عليك يا صَفْوانُ .. والآنَ خُذْ هذا الزِّيرَ ، وَضَعْهُ على قَوَائِمَ فى بَيْتِكَ ، وإذا أقبلَ الليْلُ فتَعَالَ إلى هذا المكانِ وامْلأْ صَفِيحَةً مِن ماءِ البحْرِ ، وَضَعْهَا فى الزِّيرِ، وانتظرْ إلى صباحِ اليومِ التَّالِى .. ولاتَنْسَ أَنِّى أَنْتَظِرُكَ هُنا غَدًا لِتُخْبِرَنِى بِمَا وَجَدْتَ تَحتَ الزِّيرِ !!

قال ذلك وَغَاصَ فى الماءِ ، فوقف صَفْوانُ مُتَرَدِّدًا وكأَنَّهُ كان يَحْلُمُ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا أمَامَهُ غيْرَ الزِّيرِ قال فى نَفْسِهِ :

ـ رُبَّمَا يكونُ صَادِقًا .. مَنْ يَدْرِى !! ومع ذلك لا يَخْلُو الزِّيرُ مِن مَنْفَعَةٍ ، وقد تَعِبْتُ فى إِخْراجِهِ !!

وحَمَلَهُ على ظَهْرِهِ ، وسارَ إلى البَيْتِ !!

- ٤ -

وفى المَسَاءِ قال فى نفسِه :

ـ لماذا لا أُجَرِّبُ ما سَمِعْتُه من هذا الْمَخْلوقِ الْعَجِيبِ؟؟

هل كان ما حَدَثَ لى اليومَ حُلمٌ ؟! فَلْيَكُنْ حُلُمًا ، فإنَّ الأَحْلَامَ

تَصْدُقُ أَحْيَانًا !!

وهكذا قَوِيَتْ عَزِيمَتُه ، وَمَلأَ الصَّفِيحَةَ وَصَبَّها فى الزِّيرِ

وانتظر حتى الصباحِ ،دُونَ أن يُخَالِطَ عَيْنَيْهِ نَوْمٌ !!

وفى الصباحِ أسْرع إلى الزِّيرِ ، وما كاد يَرَاهُ حتَّى صَاحَ

بِفَرْحَةٍ :

ـ ذَهَبٌ .. فِضَّة .. نُحَاس .. قِصْدِير .. حـدِيد .. أَوْه !! أَشْيَاءُ أُخْرى كَثِيرَةٌ لا أَعْرِفُهَا ولا أَعُدُّهَا!!

سمِعَتْ زَوْجَتُهُ فَأَسْرَعَتْ إِلَيْه وهى تقولُ :

ـ مَالَكَ ياصفوانُ !! أَلْفُ سَلامَةٍ لَكَ ولِعَقْلِكَ !! مَاذا أصابَك ؟!

ولكنَّهُ استَقْبَلَهَا بِيَدَيْه مَمْلوءَتَيْنِ بالْمَعادِن وَهُوَ يقولُ :

ـ أُنْظُرِى .. انظُرِى !! لقدكانَ صَادِقًا !! وَلَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ وإنَّماكُنْتُ مَعَ مَلِكِ البحارِ .. إنَّه مَلِكُ البحارِ .. مَلِكُ البحارِ !!



حَاوَلَتْ زَوْجَتُهُ أَنْ تُهَدِّئَهُ ، وَأَنْ تَعْرِفَ مِنْهُ قِصَّةَ مَلِكِ البِحَارِ ، وَلَكِنَّهُ رَمَى المَعَادِنَ فِي حِجْرِهَا ، وَأَخَذَ قِطْعَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ مِنَ الذَّهَبِ ، وَجَرَى إِلَى المَدِينَةِ . وَمَا كَادَ يَرَى الْخَبَّازَ مِنْ بَعِيدٍ ، حَتَّى صَاحَ بِفَرْحَةٍ :

ـ فُرِجَتْ يَا صَدِيقِي .. فُرِجَتْ !! انْقَضَتْ أَيَّامُ النَّحْسِ وَلَنْ تَعُودَ !!

وَقَدَّمَ لَهُ الْقِطْعَتَيْنِ ، وَمَعَهُمَا شُكْرٌ كَثِيرٌ !!

فَرِحَ الخَبَّازُ لِفَرَحِ صَفْوَانَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مِنْهُ كَيْفَ بَدَّلَ اللَّهُ حَالَهُ ، وَكَيْفَ فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الرِّزْقِ مِنْ جَدِيدٍ ،

ولكنَّ صفوانَ كان مشغُولاً بِشَىْءٍ آخَرَ، فوعَدَه أنْ يَقُصَّ عليْهِ قِصَّتَهُ فى لِقاءٍ قَريبٍ، وتركَهُ وسارَ إلى الْبَحْرِ. وهُناك وَجَدَ مَلِكَ الْبِحارِ يَنْتَظِرُه، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ قالَ:

ـ مَوْلاىَ الْمَلِكَ، كَيْفَ أشْكُرُكَ على هَدِيَّتِكَ الْعَجِيبَةِ؟؟

وقبلَ أن يسمَعَ جواباً، قال بِلَهْفَةٍ:

ـ وهل أَجِدُ تحتَ الزِّيرِ هذه الْمَعادِنَ النَّفيسَةَ كلَّ صباحٍ؟! إنّى لا أُصَدِّقُ يا مولاىَ.. إنَّها عَجِيبَةُ الْعَجَائِبِ.. إنَّ الناسَ لم يسمَعُوا بِمِثْلِها من قَبْلُ!!

فابْتَسَمَ الملِكُ فى وَجْهِهِ وَقالَ لَهُ:

ـ ولماذا تَعْتَبِرُ ما حدث لكَ عَجِيبَةً مِنَ الْعَجائِبِ؟؟

ثم غَيَّرَ صَوْتَه وقال كأنَّه عالِمٌ يَشْرَحُ دَرْسًا لِتلاميذِه:

ـ إنَّكم يا صفوانُ لا تَعْرِفُونَ عَنِ الْبِحارِ إلَّا قَليلاً ..
تَعرِفُونَ أنَّهَا مَوْطِنُ السَّمكِ واللُّؤْلؤِ وَالْمَرْجانِ ،
وَتأْخُذونَ مِنْهَا الْمِلْحَ أَحْيانًا . وَلكِنَّكُمْ تَجْهلُونَ كَثِيرًا
مِنْ صِفاتِهَا وَفوائِدِهَا !!

إنَّ البِحارَ يا صَفْوانُ فِيهَا جَمِيعُ الْمَعَادِنِ الَّتِي
تَجِدُونَهَا فِي الأَرْضِ ، وَهِيَ ذائِبَةٌ فِى الماءِ كَمَا يَذُوبُ
الْمِلْحُ تَمامًا . والْكَائِنَاتُ الْحَيَّةُ التى تَعِيشُ فى البِحارِ
مِنْ نَبَاتٍ وَحَيوانٍ ، أَكْثرُ فِي أنْوَاعِها وَعَدَدِهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ
الحَيَّةِ التى تَعِيشُ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ . وَلَوْ فَكَّرْتُمْ فِي

اسْتِغْلَالِ الْبِحَارِ لَوَجَدْتُمْ رِزْقًا وَاسِعًا لَا يَنْفَدُ وَلَا يَنْقَطِعُ !!

كان صَفْوَانُ يَسْمَعُ هَذَا الْكَلَامَ الذى لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ قَبْلُ ، وكانَ يُفَكِّرُ فيه ، وَلَمَّا صَمَتَ الْمَلِكُ قَالَ صَفْوَانُ :

- الآنَ فَهِمْتُ ياجَلَالَةَ الملك .. إِنَّ الْمَعَادِنَ الَّتِي وَجَدْتُهَا صَبَاحَ الْيَوْمِ تَحتَ الزَّبَرِ ، كانت من المعادِنِ الذَّائِبَةِ فِي مَاءِ الْبَحْرِ ، وَقَدْ خَلَّصَهَا الزبَرُ وَرَوَّقَ الْمَاءَ مِنْهَا كَمَا يُرَوِّقُهُ مِنَ الطِّينِ !!

فَقَالَ الملكُ بِابْتِسَامَةٍ تُشْبِهُ ابْتِسَامَةَ الأَبِ فِي وَجْهِ

طِفْلِهِ الصَّغِيرِ ، عِنْدَمَا يَقْتَرِبُ مِنْ فَهْمِ مَسْأَلَةٍ :

ـ نعم هذ ماحَدَثَ ياصَفْوَانُ !!

كاد صَفْوَانُ يَرْقُصُ مِنَ الْفَرَحِ ، وَقَالَ :

ـ فَهِمْنَا السِّرَّ ، وَقَضَيْنَا على مُشْكِلَةِ الْفَقْرِ والْجُوعِ بَيْنَ النَّاسِ .. وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ أَنْ نَجْمَعَ الأَزْيَارَ ، وَأَنْ نَمْلأَهَا بِمِيَاهِ الْبَحْرِ ، لِتُعْطِيَنَا مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ كُلَّ يَوْمٍ !!

ضَحِكَ الْمَلِكُ ضِحْكَةً عَالِيَةً ، ثُمَّ قَالَ :

ـ لا ياصَفْوَانُ .. ليس الأَمْرُ سَهْلاً كما ظَنَنْتَ !! إِنَّ الزِّيرَ الَّذِى أَهْدَيْتُهُ إِلَيْكَ زِيرٌ خَاصٌّ ، وَقَدْ صَنَعَهُ

عُلَمَاءُ الْكِيمِيَاءِ فى مَمْلَكَتِى ، فهو مَعْمَلٌ صَغِيرٌ مِنْ مَعَامِلِ الْكِيمِيَاءِ ، وَبِمَا لَهُ مِنْ خَصَائِصَ ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ قُدْرَةٍ وَأَسْرَارٍ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْلِصَ الْمَعَادِنَ مِنَ الْمَاءِ .. فَهَلْ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَصْنَعُوا مِثْلَهُ يَا صَفْوَانُ ؟!

فَكَّرَ صَفوانُ قَلِيلاً ، ثُمَّ أَجَابَ :

ـ هَذَا أَمْرٌ لاَ أَعْرِفُه يَا جَلاَلَةَ الْمَلِكِ ، وَلَكِنِّى أَكْتَفِى بِهَذَا الزِّيرِ الآنَ ، وَسَأَظَلُّ أَنَا وَأَهْلُ مَدِينَتِى نَذْكُرُكَ بِهِ ، وَنَشْكُرُكَ عَلَيْهِ !!

فَقَالَ الْمَلِكُ :

ـ وَلكِنْ لا تَنْسَ يا صَفْوَانُ أَنَّ قُدْرَةَ الزِّيرِ لا تَسْتَمِرُّ طَوِيلاً .. وَإِنَّمَا يُدْرِكُهُ الْعَطَبُ والتَّلَفُ، الذى يُدْرِكُ كُلَّ آلةٍ مِنَ الآلاتِ !!

وَلَمَّا وَصَلَ الْمَلِكُ إلى هَذَا الحَدِّ مِنْ حَدِيثِهِ قَالَ :

ـ والآنَ أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ يا صَفْوَانُ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَغَاصَ فِي الْمَاءِ !!

• • •

أَخَذَ صَفْوَانُ يَمْلأُ الزِّيرَ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَيَجْمَعُ الْمَعَادِنَ مِنْ تَحْتِهِ كُلَّ صَبَاحٍ . وَكَانَ رَجُلاً كَرِيمًا وَخَيِّرًا ، فَلَمْ يَبْخَلْ بِمَا يَمْلِكُ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ . وَسَكَنَ قَصْرًا

وَاشْتَرَى ضَيْعَةً كَبِيرَةً . وَأَنْشَأَ فِى الْمَدِينَةِ مَدْرَسَةً كَبِيرَةً وَطَلَبَ مِنْ مُدَرِّسِيهَا أَنْ يُعَلِّمُوا التَّلَامِيذَ الْكِيمْيَاءَ ، كَمَا أَنْشَأَ عَدَدًا مِنَ الْمُسْتَشْفَيَاتِ لِلْمَرْضَى ، وَعَدَدًا مِنَ الْمَلَاجِئِ لِلْعَاجِزِينَ عَنِ الْعَمَلِ !!



انْتَشَرَتْ قِصَّةُ صَفْوَانَ مَعَ مَلِكِ الْبِحَارِ ، فِى حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ، فَصَدَّقَهَا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ ، وَكَذَّبَهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ .

وَلكِنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ الْبِحَارَ الْآنَ وَيَعْرِفُونَ أَسْرَارَهَا الْعَجِيبَةَ ، يَقُولُونَ :

ـ مَا أَصْدَقَ مَلِكَ الْبِحَارِ فِيمَا قَالَ !! إِنَّ الْبِحَارَ مَلِيئَةٌ بِالْخَيْرَاتِ وَالْأَحْيَاءِ كَمَا أَخْبَرَ صَفْوَانَ !!

• • •

فَهَلْ يُصَدِّقُ النَّاسُ ، أَنَّ التَّنَاسُلَ الْكَثِيرَ يَضُرُّهُمْ وَيُفْسِدُ حَيَاتَهُمْ ، كَمَا قَالَ مَلِكُ الْبِحَارِ لِصَفْوَانَ مِنْ قَبْلُ ؟؟

لَيْتَهُمْ يُصَدِّقُونَ !!

دار مصر للطباعة



حديقــة الطفــل
قصص رائعة . فيها تهذيب وتثقيف ، ومتعة وتسلية .
فى اخراج أنيق ، وخط جميل ، وتصوير رائع .
للأطفال من التاسعة الى الثانية عشرة .
ظهــر منهــا
١ ـ السمكتان المتوحشتان
٢ ـ الابرة العجيبة
٣ ـ قطقوطة الجميلة
٤ ـ قطعة الذهب
٥ ـ بحيرة الذئب
٦ ـ التمثال الباكى
٧ ـ صانعة البطل
٨ ـ هدية القزم
٩ ـ مزرعة الأرنب
١٠ ـ دموع التماسيح
١١ ـ من أخلاق العرب
١٢ ـ فرقة موسيقى
١٣ ـ الطائر الأخضر
١٤ ـ ذو الرداء الذهبى
١٥ ـ شجرة الذهب
١٦ ـ جندى يعود
١٧ ـ بيت العرائس
١٨ ـ حياة جديدة
١٩ ـ العرش الطائر
٢٠ ـ تاج الهدهد
٢١ ـ الطبــال الصغير
٢٢ ـ مع ملك البحــار
٢٣ ـ أحذية الأميرات
٢٤ ـ ... ...
تطلب من مكتبة مصر